تفريغ

مفاتيح العلم

فضيلة الشيخ الدكتور

علي بن يحيى الحدّادي

miraath.net
ميراث الأنبياء
Miraath.Net
قام بها فريق التفريغ بموقع ميراث الأنبياء

بسم الله الرحمن الرحيم

يسر موقع ميراث الأنبياء أن يقدم لكم تسجيلًا لمحاضرة بعنوان:

ألقاها

فضيلة الشيخ الدكتور: علي بن يحيى الحدادي

-حفظه الله تعالى-

يوم الخميس الثامن والعشرين من شهر شوال عام سنة وثلاثين وأربعمائة وألف للهجرة النبوية، ضمن فعاليات دورة العلامة زيد بن محمد بن هادي المدخلي -رحمه الله- الثانية المقامة في مدينة جازان لعام سنة وثلاثين وأربعمائة وألف للهجرة النبوية.

نسأل الله -سبحانه وتعالى- أن ينفع بها الجميع.

الحمد الله، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن ولاه، أما بعد:

أيها الإخوة فى الله :

حياكم الله في هذه الليلة المباركة -بإذن الله تعالى- ونحن نفتتح دورة علمية مباركة في عامها الثاني والتي تحمل هذه الدورة تحمل اسم عَلَم من أعلام الأمة؛ تحمل اسم إمامًا قضى عمره علمًا، وعملًا، ودعوة، وحرصًا، ونصحا، يعرف ذلك عنه القاصي والداني، إنه الشيخ العلامة «زيد بن محمد بن هادي المدخلي» -رحمه الله تعالى-، قال -رحمه الله تعالى-: **"أعظم الخير نشر العلم للناس لمسيس الحاجة إلى ذلك، ولا يستغني عنه الرجل ولا المرأة ولا الصغير ولا الكبير"** إلى آخر كلامه -رحمه الله-، مات -رحمه الله تعالى- وخلف علمًا غزيرًا وخيرًا كثيرًا وذرية طيبة وتلاميذ بررة نحسبهم كذلك والله حسيبهم، ينشرون عنه ما تحملوه من نور العلم ومن أدب واطلاع وهم علماء فضلاء من بعده وطلبة نجباء.

أيها الإخوة الكرام :

نحن هذه الليلة نفتتح الدورة العلمية الثانية والتي سبقتها مجموعة من المحاضرات والكلمات في جوامع ومساجد هذه المدينة وما حولها من القرى حثًا للناس على العلم وهدى وترغيبًا منه وترغيبًا لهم لحضور مثل هذه الدورات المباركة.

أيها الإخوة في الله :

ونحن نجتمع هذا الاجتماع المبارك لا ننسى شيخًا فاضلًا ساهم في نجاح الدورة الماضية شاركنا بجهده ونصحه وتعليمه إنه الشيخ الفاضل الشيخ «عثمان بن يحيى الحملي» -رحمه الله

تعالى- الذي ما أن انتهى من تدريسه فيما أعد له من مادة في الدورة العلمية الماضية إلا وأن وافته المنية بعدها بأيام، نسأل الله أن يكون ذلك في ميزان حسناته وأن يرحمه ويتغمده واسع الرحمة.

أيها الإخوة الكرام:

نتقدم بالشكر الجزيل لكل شيخ فاضل ساهم بالتوجيه والإرشاد لنجاح هذه الدورة -بإذن الله تعالى- والإعداد لها، وعلى رأسهم الشيخ محمد بن زيد بن هادي المدخلي -وفقه الله- وغيره من إخوانه المشايخ والدعاة.

ها نحن الليلة أيها الإخوة في الله نجتمع لأجل العلم ولأجل تحصيله.

العِلْمُ أَغْلَى وأَحْلَى ما لَهُ اسْتَمَعَتْ ۞۞۞ أُذْنٌ وأَعْرَبَ عنهُ ناطِقٌ بفَمِ
العِلْمُ أَشْرَفُ مَطْلوبٍ وَطالِبُهُ ۞۞۞ للهِ أَكْرَمُ مَن يَمْشِي عَلى قَدَمِ
العِلْمُ نورٌ مُبِينٌ يَسْتَضِيءُ بِهِ ۞۞۞ أَهْلُ السَّعادَةِ والجُهَّالُ فِي الظُّلَمِ

محاضرة الليلة عن مفاتيح العلم لفضيلة شيخنا الشيخ الدكتور: «علي بن يحيى الحدادي» -وفقه الله تعالى- عضو هيئة التدريس بجامعة الإمام محمد بن سعود، فليتفضل -جزاه الله خيرًا- مشكورًا مأجورًا.

الشيخ:

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا

إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبد الله ورسوله -صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا- أما بعد:

فكما سمعنا عنوان هذه المحاضرة: «مفاتيح العلم»

والمقصود بالعلم: العلم الشرعي وهو علم الوحي الذي أنزله الله على عبده ورسوله محمد -صلى الله عليه وسلم- من الكتاب والسنة، فهذا العلم هو الذي به حياة القلوب، وبه الاهتداء إلى الصراط المستقيم، وبه صلاح الدنيا والآخرة، وسعادة الفرد والمجتمع في العاجل والآجل.

وإذا أُطلِق العلم في كتاب الله -عز وجل-، وفي سنة رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فالمقصود به هذا العلم، أمر الله -عز وجل- به وأثنى على أهله، ورفع شأنهم، وأعلى مقامهم، فحرِيٌّ بكل مسلم ومسلمة أن يحرص على تعلم العلم الشرعي، بل إن الواجب والمفترض على كل مسلم ومسلمة أن يتعلم من دين الله ما أوجب الله -عز وجل- عليه، وفي الحديث: «طَلَبُ الْعِلْمِ فَرِيضَةٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ»، وكلما استكثر المسلم من تحصيل العلم الشرعي مع صدق النية، والعمل بعلمه كان ذلك خيرًا له، ولهذا قال الله -عز وجل- لنبيه: ﴿ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴿١١٤﴾ ﴾طه: ١١٤، حتى قال كثيرٌ من أهل العلم: إن الله -عز وجل- لم يأمر نبيه -صلى الله عليه وسلم- أن يسأله المزيدَ من شيء إلا من العلم، ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴿١١٤﴾ ﴾ طه: ١١٤.

وهذا العلم الذي أوحاه الله -عز وجل- إلى رسوله -صلى الله عليه وسلم- وورَّثه لنا -عليه الصلاة والسلام- يشتمل على أوامر الله التي أمرنا بها، ونواهيه التي نهانا عنها، فأمرنا بالأوامر من

واجبات، وسنن، ومستحبات، حتى ننال رضاه، ونهانا عن منهيات تتفاوت في خطورتها من شرك أكبر وشرك أصغر، وبدع ومحدثات، وكبائر الذنوب، وصغائر، وما نُهينا عنه على سبيل الكراهة، حتى نجتنب سخط الله -جل وعلا-.

فأعظم ما أمرنا الله به -جل وعلا- هو إفراده بالعبادة، بل لذلك خلقنا -جل وعلا-، كما قال -سبحانه-: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ﴾الذاريات: ٥٦، وأعظم ما نهانا الله -عز وجل- عنه أن نشرك معه في عبادته أحدًا غيره، فمن لقي الله موحدًا لا يشرك بالله شيئا كان من أهل الجنة، ومن لقي الله يشرك به شيئا كان من أهل النار، كما قال الله -جل وعلا- في حكايته عن عيسى -عليه الصلاة والسلام- أنه قال: ﴿ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾ ﴾المائدة: ٧٢، فهذا أوجب العلم وأشرفه وأعظمه ألا وهو ما يتعلق بالتوحيد الذي هو أساس هذا الأمر وأصله، ولا تُقبل صلاة، ولا صيام، ولا زكاة، ولا حج، ولا غير ذلك من الأعمال إذا كانت عقيدة هذا العامل عقيدة فاسدة قد أفسدها بالشرك، كما قال -جلَّ وعلا-: ﴿ وَلَوْ أَشْرَكُوا۟ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٨٨﴾ ﴾الأنعام: ٨٨، ﴿ وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾ ﴾الزمر: ٦٥، ﴿ وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾ ﴾الفرقان: ٢٣، لأنهم لقوا الله -عز وجل- على الكفر، على الشرك، فلم تنفعهم شيء من الأعمال ولا الأقوال التي صدرت عنهم يريدون بها الله على سبيل التعبد والتقرب والتحنث.

ثم يلي هذا الأساس وهذا الأصل المتين يليه بقية شرائع الإسلام حسب أهميتها، فأعظمها بعد الشهادتين أركان الإسلام الأربعة: الصلاة، والزكاة، والصيام، وحج بيت الله الحرام.

فعلى المسلم أن يتعلم ما أمره الله به حتى يأتي بهذه الأوامر قدر استطاعته، وعليه أن يتعلم ما نهاه الله -عز وجل- عنه حتى لا يقع فيما حُرِّم عليه.

وهذا العلم له مفاتيح، فالعلم كأنه دار، بيت وهذا البيت له أبواب، والأبواب تحتاج إلى مفاتيح، فهذه المفاتيح التي تدخل بها إلى دار العلم النافع؛ العلم المُثمر كثيرة، ونذكر منها ما تيسر.

أول هذه المفاتيح: حُسن القصد في تعلم العلم

فإذا كان طلب العلم فريضة، إذا كان طلب العلم عملًا صالحًا فإن الأعمال الصالحة لا تُقبل ولا ينتفع بها صاحبها حتى يُريد بها وجه الله -جل وعلا- فيُحسن قصده في طلب العلم، وذلك بأن يتعلم يريد الأجر والثواب من الله -سبحانه وتعالى-، يتعلم العلم حتى يرفع الجهل عن نفسه، فيعبد الله على بصيرة، ويخشى من الله على بصيرة، ويفعل أوامر الله على بصيرة، ويجتنب نواهيه على بصيرة، يتعلم العلم من أجل أن يُكَمِّل غيره بدعوتهم إلى الخير، وأمرهم بالمعروف، ونهيهم عن المنكر، ورفع الجهل عنهم حتى يُشاركوه في عبادة الله -جل وعلا- على بصيرة، فهذا كله يدخل في حسن القصد، وفي حسن النية في العلم، وإذا كان منطلق المسلم وطالب العلم خاصة في تعلمه للعلم الشرعي بهذه النية فليُبشر بالخير.

وأما إذا طلب العلم لقصد سيِّئ -والعياذ بالله- فليحذر ماجاء في أمثال أصحاب هذه المقاصد من الوعيد الشديد، قال -عليه الصلاة والسلام-: «مَنْ تَعَلَّمَ عِلْمًا مِمَّا يُبْتَغَى بِهِ وَجْهُ اللهِ -عَزَّ وَجَلَّ- لا يَتَعَلَّمُهُ إِلا لِيُصِيبَ بِهِ عَرَضًا مِنَ الدُّنْيَا لَمْ يَرَ عَرْفَ الْجَنَّةِ» -والعياذ بالله-.

فطلب العلم مراءاة للناس وطلبًا للحظوظ الدنيوية هذا متوعد عليه بهذا الوعيد الشديد «لَمْ يَرَ عَرْفَ الْجَنَّةِ» يعني أنه لايدخل الجنة، بل ولا يُقَرَّب منها؛ لأن ريح الجنة يوجد من مسيرة كذا وكذا، يوجد من مسيرة بعيدة، فإذا كان هذا الشخص لايجد عرفها ورائحتها الطيبة فمن باب أولى أنه لايدخلها.

وثبت في صحيح مسلم أن أول من تسعر بهم النار ثلاثة، ومن هؤلاء الثلاثة رجل قرأ القرآن وتعلم العلم فبعثه الله وأوقفه للسؤال والجزاء والحساب، فسأله عن عمله في دار الدنيا ماذا عمل؟ فقال: يارب قرأت القرآن وتعلمت العلم فيك، فيقول الله -عز وجل- له: كذبت إنما قرأت القرآن ليقال: فلان قارئ وقد قيل، خذوه إلى النار، فهذا عُذِّب لم؟ لأنه فقد الإخلاص، فقد حسن النية في طلبه للعلم الشرعي، في تعليمه للعلم الشرعي، أراد المدح، أراد الثناء، أراد الجاه، أراد المنصب، أراد أن يصرف وجوه الناس إليه، ومن أراد هذه النية قد ينالها وقد لاينالها، أو قد ينال شيئًا مما أراد لكنه يأتي يوم القيامة بالصفقة الخاسرة -والعياذ بالله-.

فأول مفتاح من مفاتيح العلم أن يحسن طالب العلم في نيته، ويتفقد هذه النية مرة بعد مرة، حتى لايتسلل إليه الشيطان فيقطع عليه الطريق، ويفسد عليه النية والقصد.

ومن مفاتيح العلم تقوى الله -جلّ وعلا-

وذلك بفعل أوامره، واجتناب نواهيه، وهذا هو العمل بالعلم، فإن معنى تقواك لله -جلَّ وعلا- أن تعمل بعملك، قال الله -سبحانه وتعالى-: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُۗ﴾ البقرة: ٢٨٢، أخذ منها بعض أهل العلم أن تقوى الله -سبحانه وتعالى- من أسباب تحصيل العلم.

والقول الثاني يقول: لا، لأن الله لم يرتب الجملة الثانية على الأولى بالفاء أو باللام.

ولكن على أحد القولين أن هذه الآية تصلح دليلًا على أن التقوى من أسباب تحصيل العلم.

وقال -جل وعلا-: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّكُمۡ فُرۡقَانٗا وَيُكَفِّرۡ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ٢٩﴾ الأنفال: ٢٩، فهذه الآية فيها وعد من الله -سبحانه وتعالى- لعبدِهِ إذا اتقاه، أن يجعل لهُ فرقانًا، يجعل لهُ ما يُفرِّق به بين الحقِّ والباطل، بين الهُدى والضَّلال، وبين الشِّرك والتَّوحيد، بين السُّنة والبِدعة، بين أهل الحقِّ وأهل الباطل، والذي يكشِف لك ذلك كُلَّه هو العلم الشَّرعي، فإذا اتقيتَ الله علَّمك الله -جلَّ وعلا- يعني وفَّقك لتحصيل العلم، وطلبه، ونيله؛ لأن العلم لا يُنال إلا بالتَّعلُّم، العلم بالتَّعلُّم، بالدراسة، أمَّا العلم الذي هو وحيٌ من الله فهذا انقطع ببعثة خاتم النبيين -صلَّى الله عليه وسلَّم- فلا نبيَ بعده، انقطع الوحيُ من السماء بموت محمدٍ -عليه الصَّلاة والسَّلام-.

﴿ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّكُمۡ فُرۡقَانٗا وَيُكَفِّرۡ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۗ ﴾الأنفال: ٢٩، إذا اقترن التَّكفير مع المغفرة، صار التَّكفير للسيئات للذنوب الصِّغار، لصغائر الذنوب، وصار الاستغفار والمغفرة للكبائر ﴿ إِن تَجۡتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنۡهَوۡنَ عَنۡهُ نُكَفِّرۡ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ ﴾ النساء: ٣١

وإذا نظرنا للصغائر وإذا هي تُكفَّر بالأعمال الصَّالحة، فإذا توضَّأت مثلًا غفر الله لك الذنوب؛ صغائر الذنوب التي عملتها بجوارحك، غسلتَ وجهك، غفر الله لك الذنوب التي صدرت منك، باستعمال بصرِك، باستعمال فمِك ونحو ذلك، إذا غسلتَ يديك خرجت ذنوبك التي عملتها بيديك، وهكذا، إذا مشيتَ إلى الصَّلاة كتبَ الله لك درجة، كتب الله لك حسنة، رفعك الله درجة، كفَّر الله لك بكلِّ خطوة من خطواتك سيئة، وهكذا إذا صليت الصَّلوات الخمس، كانت كفَّارات لما بينهُن، رمضان إلى رمضان، العُمرة إلى العُمرة، الحجُّ المبرور، كل هذه الأعمال الصَّالحة يُكفِّر الله بها من سيئاتك، لكن هذا التكفير يكون للصغائر، وبشرط أن تجتنب الكبائر.

فإذًا يكون معنى هذه الآية: إن تتقوا الله يرزقكم العلم الذي تفرِّقون به بين الحقِّ والباطل، ويُوفقكم للعمل الصَّالح، الذي يُكفِّرُ الله به سيئاتكم وذنوبكم، ويُوفِّقكم للتوبة التي يُكفِّر الله بها الخطايا والذنوب، ويغفر لكم، ويُوفِّقكم للاستغفار، للتوبة، للإنابة، للرجوع إلى الله -سبحانه وتعالى-، فيحصل لكم بذلك المغفرة ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ ﴾الأحزاب: ٧٠ - ٧١، فتقوى الله -جلَّ علا- من ثمراتها العظيمة الجليلة التوفيق للعلم النافع،

التوفيق للقول الطيِّب، التوفيق للعمل الصَّالح، وبعد ذلك منة الله –جلَّ وعلا– بتكفِّير السيئات والذنوب والخطايا، فتقوى الله –سبحانه وتعالى– من أسباب حصول العلم النافع.

وتروي كتب السِّير أنَّ الشَّافعي شكا إلى شيخه وكيع سوء الحفظ فأرشدهُ إلى ترك المعاصي، وعبَّر عن ذاك عن هذا المعنى بالأبيات المشهورة:

شكوتُ إلى وكيعٍ سوء حفظي ۞۞۞ فأرشدني إلى ترك المعاصي

وقال: اعلم بأن العلمَ نورٌ ۞۞۞ ونورُ الله لا يُهدى لعاصي.

فتقوى الله –سبحانه وتعالى–، سبب عظيم لنيل العلم الشرعي، وتحصيله، والفوز به، والظَّفر به.

ومن مفاتيح العلم الصّبر والجَلَد والمُثابرة ونفي السّأم والملل عن طلبه وتحصيله

وفي صحيح مسلم عن يَحْيَى بْنِ أَبِي كَثِيرٍ أنه قَالَ: "لَا يُسْتَطَاعُ الْعِلْمُ بِرَاحَةِ الْجِسْمِ" لا يُنال العلم براحة الجسد.

ومن طلب العُلا من غير كدٍ ۞۞۞ أضاع العمرَ في طلبِ المحالِ.

فطلب العلم وتحصيله يحتاج إلى صبر، وإلى جلد وإلى استمرار، وإلى مُثابرة، أما إذا أطعت داعيَ الملل والسَّأم فإنك لن تنال منه، ولن تفوز به، ولن تظفر به، لن تنال منه ما تريد، ولن تظفر به، ولن تفوز به.

لا يُدرك العلم إلا كلُّ مشتغلٍ بالعلم همَّتهُ القِرطاس والقلم، وبالصبر يُنال خير العيش، كما قال عُمر: "وَجَدْنَا خَيْرَ عَيْشِنَا بِالصَّبْرِ"، فتصبرِ على طلبه وتحصيله؛ تصبر على طلبه، تصبر على

حفظه، تصبر على فهم مسائله، تصبر على مراجعته واستذكاره، ومذاكرته مع زملائك، تصبر على العمل به، تصبر على تعليمه ونشره، تصبر على الأذى فيه، فإذا نقص صبرُك وجلدُك، نقص حظُّك منه بقدر ما نقص عندك من هذه الخصلة الشَّريفة الكريمة.

ودرسنا جميعًا رسالة الأصول الثلاثة، وفي مقدِّمة هذه الرسالة المباركة قول المؤلِّف -رحمهُ الله -: **"اعلم رحمك الله أنه يجب علينا تعلُّم أربع مسائل: العلم، والعمل، والدعوة إليه، والصَّبر على الأذى فيه"**، فهذا مفتاحٌ عظيم من مفاتيح العلم، فإياك إياك الانقطاع عن العلم، بسبب الملل والسَّأم ونحو ذلك.

وليس معنى هذا أن الشخص لا يُعطي نفسهُ وجسدهُ حظَّها من الرَّاحة، ومن الإجمام، لا، ما أتكلَّم عن هذا، ولا أقصد هذا، لكن أقصد أن كثيرًا ممن يطلب العلم ينقطع بعد فترة انقطاع شبه كامل، لم؟ ضجِر، سئم، دخلهُ الملل، فانقطع عن الخير كلِّه، أما الشخص الذي يُجم نفسه، ويُريح نفسه، مرةً بعد مرة، فهذا مما يعينه ويُشجِّعه على المواصلة والاستمرار، ويُروى عن ابن عباس أنه سئل: بم نلتَ هذا العلم؟ فقال: **"بلسانٍ سئول، وقلبٍ عقول"**.

وسمعت من شيخنا الشيخ عبد الله بن عقيل -رحمه الله- زيادة جملة ثالثة: **"وبَدَنٍ غير ملول"**، **"بلسانٍ سؤول، وقلبٍ عقول، وبَدَنٍ غير ملول"**

وسئل بعضهم: بم نلت هذا العلم؟ فقال: **"ببكور كبكور الغراب، وصبر كصبر الحمار"** صبر يحمل نفسه على الجد، والاجتهاد، وتحصيل العلم.

ومن صور حرص ابن عباس -رضي الله تعالى عنه وأرضاه- أنه بعد ما مات النبي -عليه الصلاة والسلام- كان يذهب إلى بيوت الأنصار، فيأتي إلى بيت الرجل من الأنصار، وهذا الرجل الأنصاري في قيلولته، فلا يطرق عليه الباب، لا يضرب عليه الباب، وإنما ينتظر يفرش رداءه ويجلس عليه، والريح تسفي عليه، لكن ما يبالي بهذه السَّموم أو بهذا الغبار أو بما يصيبه، فإذا خرج الأنصاري وجد ابن عم رسول الله -صلى الله عليه وسلم- عند الباب فيقول: ما عندك يا ابن عم رسول الله -صلى الله عليه وسلم-؟ هلَّا أرسلت إلي فكنت أنا الذي آتيك؟ يعني توقيرًا وتقديرًا لقرابته من رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، فيقول له: أنت أحق أن آتي إليك، فلا يسأل عن شيء من العلم وعند ذاك الأنصاري علم منه إلا أعطاه بنفسٍ طيبة وصدرٍ منشرح، فحصل من وراء هذا الصبر، حصل علمًا عظيمًا.

ومن مفاتيح العلم: التَّدرج في تلقيه

وقد قال بعض السلف: **"من رام أخذ العلم جملة ذهب عنه جملة"** فطلب العلم يكون بالتدرج شيئًا فشيئًا، وفي قول الله -سبحانه وتعالى-: ﴿وَلَٰكِن كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّۦنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾﴾ آل عمران: ٧٩،

قال: **"يعلِّمون صغار العلم قبل كباره"**، فهذا منهج في التعليم و منهج أيضًا في التعلم، فتبدأ شيئًا فشيئًا.

قرأنا في تراجم بعض كبار المحدثين يقول: كنت في اليوم أحفظ أربع أحاديث أو ثلاثة أو خمسة ما يزيد على هذا القدر، فإذا حفظها، وعقلها، وأتقنها، وضبطها، أخذ المجموعة التي بعدها، وهكذا.

وقرأنا في سير الصحابة، كما يقول أبو عبد الرحمن السُّلَمِي: أنهم كانوا في طريقة حفظهم للقرآن يحفظون عشر آيات فلا يجاوزون هذه العشر حتى يتقنوا حفظها، ويتعلموا ما فيها من العلم، ثم بعد ذلك ينتقل إلى العشر الأخرى، وهكذا، فجمع الله لهم بين حفظ القرآن، وفهمه، والعمل به.

والله –سبحانه وتعالى– نزّل القرآن بالتدريج شيئًا فشيئًا ﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا ﴿١٠٦﴾﴾ الإسراء: ١٠٦، شيئًا فشيئًا حتى يُحفظ، ويُفهم، ويُتقن، ويُضبط.

﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً ۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۖ وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا ﴿٣٢﴾﴾ الفرقان: ٣٢، فتطلب العلم شيئًا فشيئًا، لا تكثر على نفسك فيتشتت عليك العلم، فلا تستطيع أن تحفظ، وأن تعي، وأن تنتفع بهذا الشيء الذى تعلمته.

ولهذا أهل العلم يوصون طالب العلم بأن يبدأ بالمتون الصغيرة يأخذ متنًا في فن، متنًا صغيرًا من المتون المعتمدة المعتبرة عند أهل العلم في فن من فنون العلم، متنًا في العقيدة مثلًا: «متن الأصول الثلاثة» في توحيد الألوهية، يحفظ هذا المتن يتقن حفظه، ثم يقرأ على شيخ يشرحه له

يوضحه له، ثم ينتقل بعد ذلك إلى متن آخر وهكذا، فالتدرج في العلم من أسباب تحصيله- بإذن الله سبحانه وتعالى- ومن أسباب الترقي فيه.

أما الهجوم على المسائل الكبار، على الكتب الكبار، على القضايا الكبار ولاسيما في بداية الطلب فهذا مما يشوش على الطالب في تحصيله، وربما أدى به ذلك إلى ربما الضلال والانحراف في الفهم، وربما أداه إلى الانقطاع عن العلم بالكلية، وهذا يُرجع فيه إلى المشايخ الموجودين في بلدك إذا كان بلدك فيه علماء فارجع إليهم واسألهم عن الكتاب الذي تبدأ به، المتن الذي تبدأ تدرسه فإذا اختار لك الشيخ الناصح كتابًا متنًا تبدأ فيه وتدرسه عليه وهكذا.

ومن مفاتيح العلم أن تدرس العلم دراسة على أهله

ما تستقل بنفسك بقراءة الكتب دون التلقي على الشيوخ، دون الجلوس إلى أهل العلم، دون مزاحمة طلبة العلم بالركب، قد تُحصِّل اطلاعًا وثقافةً وكذا لكن سيفوتك خير كثير.

الصحابة -رضوان الله عليهم- تلقوا العلم على يد رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، وصغار الصحابة تلقوا عن كبار الصحابة، والتابعون تلقوا عن أصحاب رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، وهكذا جيل بعد جيل، فالعلم يتلقى عن أهله؛ تدرس عليهم، تقرأ عليهم الكتب، تقيد عنهم، تفهم عنهم شروحهم لكتب العلم فتستفيد -بإذن الله- فائدة كبيرة، أما الاستقلال بالنفس وعدم الدراسة على المشايخ فهذا يخرج مثقفًا، ولكن في الغالب يخرج مثقفين يضرون ولا ينفعون.

وإذا أردت الدراسة على شيخ فاحرص أول شرط في هذا العالم الذي تريد الدراسة عليه أن يكون هذا الشيخ صاحبَ سنةٍ، وإياك وإياك أهل البدع والدراسة عليهم؛ لأن الشيخ له أثر عظيم على تلاميذه، فإذا درست على عالم صاحب بدعة يزينها ويدعو إليها فإنك قد تغتر ببدعته وتأخذها عنه وتتبناها وتكون من أهلها -والعياذ بالله-، فتحرص على طلب العلم على عالم صاحب سنة، ويقول النبي -عليه الصلاة والسلام- في الحديث المعروف: «الْمَرْءُ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ» إذا كنت تتأثر بصديق بصاحب فما ظنك بشيخ تجلس معه الساعات الطوال؟! وتمضي معه عمرًا كبيرًا من عمرك!

كذلك أيضًا تحرص على العالم المتمكن في هذا الفن الذي تدرسه عليه؛ لأن كل ما كان العالم متمكنًا في فنه الذي يدرسه كان انتفاعك به -إن شاء الله- أكبر، وهكذا العالم الذي يكون واسع الصدر حريصًا على طلابه يبذل لهم وقته، ويبذل لهم علمه يمتاز بالعلم، وبالأناة، وبالحلم، وبالحكمة، فكلما توفرت فيه وكثرت فيه صفات الكمال كلما كان هذا أثرًا طيبًا مباركًا على تلاميذه.

ومن مفاتيح العلم حُسن اقتناء الكتب

فإن العلم كما يتلقى عن الشيوخ أيضًا يُتلقى عن الكتب، فأنت بحاجة إلى البحث، وإلى النظر فيما كتب أهل العلم في مذاهبهم، في أقوالهم، في أدلتهم، فأنت بحاجة إلى اقتناء الكتب، فتحسن في اختيارها، تعتني بكتب السلف؛ لأنها تمتاز بالأصالة، وتمتاز بالسلامة، وقلة الحشو، وقلة الآراء فيها، فهي من هذه الجهة أنفع الكتب وأحسنها وأسلمها.

وهكذا أيضًا تحرص على الكتب التي كتبها أهل السنة وتجتنب الكتب التي ألفها أهل البدع أو اشتملت على بدع وضلالات، فكما قلنا إن الشيخ يضر إذا كان مبتدعًا فهكذا الكتب أيضًا إذا كانت مشتملة على بدعٍ وضلالات تزينها فهي أيضًا قد تضرك وتفسد عليك عقيدتك ودينك، وإذا أشكل عليك أمر الكتاب فاسأل عنه قبل شرائه أو قبل استعارته حتى تكون على بينة وعلى بصيرة، هذه بعض مفاتيح العلم.

وإذا كان العلم له مفاتيح فالعلم أيضًا له أقفال، له أقفال تصدك وتحجبك، قال الله -سبحانه وتعالى-: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾﴾ محمد: ٢٤، فبين أن الذي يمنعهم من تدبر القرآن والانتفاع به أن قلوبهم مقفلة -والعياذ بالله-، ومعنى ﴿أَمْ﴾ معناها: بل على قلوب أقفالها، فلما أقفلت هذه القلوب ما وصل إليها نور العلم، نور الإيمان، نور الهدى، فهذه الأقفال التي تصدك عن العلم هي الأمور المضادة المقابلة لما ذُكر، ولكن ننبه على أشياء منها:

أولًا: المعاصي والذنوب

وتقدم أن هذه المعاصي لها أثر في الحرمان من نور العلم، وإذا كانت المعصية قد يحرم بها العبد الرزق فإن العلم رزق عظيم، فقد تُحرم بسبب معصيتك تُحرم بسببه الانتفاع بعلمك.

ليس المعنى أن طالب العلم لا يمكن أن يعصي، لا، يقول -عليه الصلاة والسلام-: «كُلُّ بَنِي آدَمَ خَطَّاء» لكن تجتهد ألا تتعمد الوقوع في المعصية، تجتهد أن تلازم طاعة الله وتقواه في السر والعلن، وإذا زلَّت بك قدم فتبادر إلى التوبة، والاستغفار، والإنابة إلى الله -جل وعلا-، وتكثر من

الحسنات لعل الله -عز وجل- أن يعفو ويتجاوز عنك، والله -عز وجل- قد بين صفات المتقين وذكر منها أنهم لم يصروا على ما فعلوا ﴿وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا﴾ آل عمران: ١٣٥، فقد تزل بهم القدم لكن ما يصرون، ما أسرع ما يفيئون إلى الله! ويرجعون إلى الله! ويتوبون إليه! ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴿٢٠١﴾﴾ الأعراف: ٢٠١، فيسرعون الفيء، والإنابة، والرجوع إلى الله -سبحانه وتعالى-، ويتبعون تلك السيئة بالتوبة النصوح والعمل الصالح.

كذلك أيضًا من أقفال العلم: الرفقة السيئة

فالرفيق السيء قد يكون سوءه من جهة أنه يضيع عليك العمر دون فائدة دون جدوى، تريد تحضر درسًا قال لك نروح نتمشى شوي ونغير جو قليلًا ثم نعود ونلحق الدرس، فيصرفك عن مجالس العلم، يصرفك عن دروس العلم، فإذا وجدت هذا الصاحب الذي تمشي معه فيه هذه الخصلة فابعد عنه واهرب منه؛ لأنه يحرمك من خير كثير، هذا رفيق السوء قد يكون سوءه من جهة أنه مثبط ومخذل، ماذا تريد بالعلم؟ وهل تظن أن الناس سيحتاجون إليك؟ وهل تتوقع نفسك أنك بتكون زي الشيخ فلان ولا فلان؟

ويبدأ يثبطك بمثل هذا الكلام ويخذلك، هذا أيضا رفيق فيه خصلة سيئة وتقطعك عن العلم والاستمرار فيه، فضلًا عن رفيق السوء الذي يكون سوءه من أجل فساده في العقيدة، فساده في الأخلاق، فساده من جهة مجاهرته بالمعاصي فهذا أمره واضح وبيِّن، لكن أحيانًا يكون عندك صاحب ظاهره الخير والاستقامة لكنه لا يعينك على طلب العلم.

ومن الحُجب التي تحجبك عن العلم

أن يكون في قلبك مرض، فالقلب هو محل الفقه والفهم ﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا﴾ الأعراف: ١٧٩، فمحل العلم محل الفهم هو هذه القلوب ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَٰكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴿٤٦﴾﴾ الحج: ٤٦، فهذا القلب إذا وُجدت فيه أمراض، هذه الأمراض تحول بينك وبين تحصيل العلم والانتفاع بالعلم.

ومن هذه الأمراض الحسد، الحسد مرض من أمراض القلوب الخطيرة، ومعنى الحسد أن تكره نعمة الله -عز وجل- على أخيك، وفي الغالب يقولون المشتركون في صناعة يقع بينهم التحاسد، المشتركون في صناعة، في مهنة، في فن معين، يقع بينهم التحاسد، اثنين أصحاب محلات في نشاط واحد هذا كسب في اليوم وأتوه زبائن كثيرة وهو لم يأته أحد يحسد أخاه وتشتعل النيران في قلبه، ليش هو أتوه زبائن وأنا ما جاءني أحد، ليش باع كثير وأنا بعت قليل؟!

فيحسده على هذا الخير، يحسده على هذا الرزق الذي كتبه الله له، ومن أشد الحسد ما يكون في صدور بعض من ينتسب للعلم، فهذه خصلة ذميمة من كل أحد وهي من طالب العلم أشد ذما، فاحرص أن يكون قلبك سليمًا تجاه إخوانك؛ لأنك أنت أصلًا تتعلم وتقرأ فيما تتعلم «لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَايُحِبُّ لِنَفْسِهِ» هذا من الإيمان الواجب، من كمال الإيمان الواجب أنك تحب لأخيك ما تحب لنفسك، فإذا كنت يسوءُك أن يحصل لأخيك الخير فهذا دليل على نقص إيمانك، وتأثم بهذا النقص، أنت المطلوب منك ما هو إنك ما تحسده، مطلوب منك أنك تحب له

الخير وبالتالي هذه النعمة لو كانت عندك ما تحب أن تزول، فإذًا أحب لأخيك أن الله -عز وجل- يثبت هذه النعمة له بل أحب له أن الله يزيده من فضله كما تحب ذلك لنفسك، فالحسد مرض خطير يشغلك عن العلم، ويشغلك عن الازدياد منه، ويبقى القلب مشغول بماذا؟ بتتبع فلان هذا، ها اليوم إيش درس؟ اليوم إيش ألَّف؟ اليوم ماذا فعل؟ اليوم من جاء من الطلاب؟ ويبدأ قلبه محروق بدل ما يستغل هذا الوقت في تعلم العلم، والدعوة إليه، ونشره، وبذله، قطع هذا الوقت في تتبع حال ذاك الشخص الذي يحسده، فذهب وقته وذهبت حسناته؛ لأن الحسد يأكل الحسنات؛ لأنه يدفع إلى الجور وإلى الظلم وإلى العدوان -والعياذ بالله-.

كذلك أيضًا العجب بالنفس من أمراض القلوب الخطيرة، فإعجابك بنفسك من عوائق العلم ومن أقفال العلم؛ لأن إعجابك بنفسك يقطعك عن المواصلة والازدياد في طلب العلم، ترى نفسك إنك خلاص صرت عالمًا كبيرًا وعندك شيء كثير، إذًا لماذا أتعب وأتعنى؟ بينما لو تأمل الحقيقة لوجد أنه كلما ازداد علمًا كلما عرف مقدار نفسه وأنه ما يجهل من العلم أكثر مما يعلم

وإذا ما ازدت علمًا ۞۞۞ زادني علمًا بجهلي

فالعلم يورث العلم النافع يورث التواضع، ويورثك معرفة مقدار نفسك، ويورثك العلم بعظم تقصيرك بحق ربك -جل وعلا- فهذا يدعوك إلى الانكسار ما هو إلى العجب بالنفس.

وكذلك من أقفال العلم الكبر

والكبر فسَّره النبي -صلى الله عليه وسلم-: «الْكِبْرُ بَطَرُ الْحَقِّ وَغَمْطُ النَّاسِ».

بطر الحق: أن ترد الحق ولا تقبل الحق، ما تقبله، لماذا؟ لأن هذا الحق تبين عكس ما كنت تقول، وأنت لا تحب أن تخطئ نفسك وأن يعرف الناس أنك أخطأت في المسألة الفلانية، من الذي ما يخطئ؟ تبين لك الخطأ اعترف بخطئك واعتذر عن خطئك، وبين الصواب والصح في المسألة، ما ينقص من قيمتك شيئًا أبدًا.

بطر الحق ترد الحق لكون هذا الحق صدر من شخص أنت ما تحبه ولا تريد أن تعترف له بالفضل؛ لأنه منافس لك أو لأنه أصغر منك سنًا أو مقاما ونحو ذلك؛ لأن هذا الحق صدر على لسان واحد مثلًا من طلابك، فكون الشخص يرد الحق هذه صورة من صور الكبر -والعياذ بالله-، وفي الحديث: «لايَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ».

وغمط الناس: يعني ازدراء الناس واحتقار الناس، وهذا كله مما يحول بينك وبين طلب العلم والانتفاع بالعلم، فيمنعك أن تدرس على فلان، كيف أنا أدرس على فلان وأنا أشرف منه نسبًا؟! وإلا أنا أكبر منه سنًا، وإلا أنا عندي شهادة أكبر من شهادته، فيحول بينك وبين طلب العلم، وبينك وبين الانتفاع بعلمك، فتحذر من هذه الخصال الخبيثة السيئة.

هكذا أيضًا اليأس والقنوط

شخص حاول يطلب العلم كل ما حاول يحفظ ما قدر، كل ما حاول يفهم بعض المسائل عجز عنها فدخله اليأس والقنوط، وقال خلاص أنا لن أفلح أبدًا، لا، ما هو صحيح، لا تيئَس من

روح الله -سبحانه وتعالى- ولا تقنط، بل أعد الكرة مرة ومرة ومرة حتى يفتح الله -عز وجل- عليك، فاليأس والقنوط هذا من أعظم أسباب الحرمان من الاستمرار في الخير.

وانظر في مسألة الدعاء، يقول رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «يُسْتَجَابُ لِأَحَدِكُمْ مَا لَمْ يَعْجَلْ يَقُولُ دَعَوْتُ فَلَمْ يُسْتَجَبْ لِي» دعا مرة، مرتين، ثلاث، عشر ثم قال خلاص، لا، لا تيئَس من روح الله، فادعُ الله -عز وجل-، واطلب من ربك -سبحانه وتعالى- أن يفهمك وأن يعلمك، وأكثر من الاستغفار، وأكثر من الدعاء، وراجع نفسك، واعمل بعلمك، فالله -عز وجل- يفتح عليك ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا۟ مَا يُوعَظُونَ بِهِۦ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا ﴿٦٦﴾ وَإِذًا لَّءَاتَيْنَٰهُم مِّن لَّدُنَّآ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٦٧﴾ وَلَهَدَيْنَٰهُمْ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٦٨﴾﴾ النساء: ٦٦ -٦٨، فلا تيئَس ولا تقنط ولا تنقطع عن طلب العلم وتحصيله.

هذه بعض المفاتيح التي أحببت أن أُذكر بها نفسي وأُذكر بها من يستمع إلى هذه الكلمة، وكذلك التنبيه على بعض ما يحول بين العبد وبين طلب العلم، أو بين العبد وبين انتفاعه بعلمه.

أسأل الله -سبحانه وتعالى- أن يرزقني وإياكم العلم النافع والعمل الصالح، وأن يبارك لنا ولكم في الأعمار إنه سميع مجيب للدعوات.

الأسئلة:

السؤال:

هذا سائل يقول: كيف أتجنب الرياء في طلب العلم؟

الإجابة:

بالمجاهدة، جاهد نفسك على أن تكون نيتك في طلب العلم خالصة، وإذا دخلك الرياء فهذه نزغة من نزغات الشيطان، والله-عز وجل- أمرنا عند ذلك بالاستعاذة ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ نَزۡغٞ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۚ﴾ الأعراف: ٢٠٠، فتستعيذ بالله من نزغات الشيطان، وتتأمل وتتدبر وتتفكر أن هؤلاء الناس الذين ترائيهم ماذا يملكون لك من الخير؟ ماذا يملكون لك من الجنة؟ ماذا يملكون لك من الثواب؟ لا شيء، فأنت لماذا ترائي من لا ينفعك ولا يضرك؟!

الخير والشر بيد الله، والضر والنفع بيد الله، والجنة والنار بيد الله، والحسنات والسيئات بيد الله، إذًا لماذا تلتفت لهذا المخلوق؟ وهو لا يملك مثقال ذرة من نفع فينفعك، ولا يملك مثقال ذرة من ضر فيضرك، لا يقع في هذا الكون شيء إلا بإذن الله -سبحانه وتعالى-، ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، فتجاهد نفسك وتستعيذ بربك -جل وعلا- وتسأل ربك دائمًا الإخلاص.

وهنا تنبيه، بعض الناس ينقطع عن طلب العلم أو يتردد في المواصلة في طلب العلم، لماذا؟ قال: أخاف إني ما أخلص وأخاف إني أرائي، أخاف كذا وكذا، لا، هذا أيضًا من وساوس الشيطان حتى ما تتعلم، لا تتعلم حتى لا ترائي مثلما كان يأتي لبعض الناس إذا أرادوا الخروج للجهاد مع

الرسول -صلى الله عليه وسلم- يأتيهم الشيطان يقول لهم لا تخرجوا حتى لا تقعوا في الفتنة، فيدع الخير خوفًا من الفتنة، فالشيطان يأتيك ليقطعك عن فعل الخير، لا تتعلم العلم يمكن ما تعمل به، ربما لا تعمل به فيكون حجة عليك، لا، اطلب العلم وفي نفس الوقت جاهد نفسك على الإخلاص وجاهد نفسك على العمل بعلمك.

السؤال:

هذا سائل يقول: أنا من بلد ليس فيه علماء، فماذا أفعل؟

الإجابة:

إذا لم يكن في بلدك علماء فارحل، ارحل إلى بلد فيه علماء ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ﴾التوبة:١٢٢، فارحل في طلب العلم شهر، شهرين، ثلاث أشهر، أربعة حسب ما تيسر لك اقرأ على العالم، ادرس عليه، ارجع إلى بلدك، اقضِ أشغال أهلك، اكتسب أنفق عليهم كذا، اجمع لك دراهم حتى ييسر الله لك سفرًا آخر، وتسافر مرة ثانية وهكذا، فالذي ليس في بلده عالم يهاجر يسافر إلى أهل العلم، يدرس على أيديهم ثم يرجع إلى بلده معلمًا وداعيًا إلى الله على بصيرة.

السؤال:

وهذا يسأل عن الدراسة عبر التسجيلات الصوتية لأهل العلم؟

الإجابة:

لاشك أن علماءنا -رحمهم الله- وحفظ وبارك في أحيائهم لهم تراث عظيم مسجل في هذه التسجيلات الصوتية في كتبهم التي فرغت منها أو ألفوها، ولكن مع ذلك هذه لا يكتفى بها عن مجالسة أهل العلم، فأنت مع العالم تأخذ، وتعطي معه، وتستفسر عما يشكل عليك، تستفيد من أدبه، من خلقه، من حرصه على العبادة وعلى الطاعة، تراه كيف يعالج القضايا والأمور فتستفيد فوائد عظيمة ما تجدها في مجرد القراءة أو في سماع الدرس المسجل.

السؤال:

يقول هل يشترط حفظ القرآن لطالب العلم في البداية؟

الإجابة:

يُستحسن لطالب العلم أنه يحفظ القرآن الكريم أولًا، ولاسيما مادام في مقتبل العمر فيكون عنده فراغ في أول عمره، ما عنده مسئوليات؛ لا وظيفة، ولا زوجة، ولا أولاد، ولا طلب معاش وكسب، فأبوه وأسرته ترعاه وتنفق عليه، وتخفف من المشاغل والمسئوليات، ماعنده شيء فيحرص على حفظ القرآن في بداية العمر قبل أن يكبر ويتوظف ويكون له أسرة، ويكون له زوجة، ويكون

له بيت، ويبدأ ينشغل بمشاغل شتى فتعوقه عن الحفظ، فيبدأ بحفظ القرآن وكثير من السلف حفظ أول القرآن ثم بعد ذلك انطلقوا في تحصيل العلوم علم الحديث والفقه وغيرهما.

لكن هل هو شرط أن يحفظ القرآن كله، ثم بعد ذلك يطلب العلم؟ لا ماهو شرط، ليس شرطًا فأنت تحفظ ما تيسر لك، ولاسيما إذا ما أقبلت على طلب العلم إلا بعد كبر في السن، تحفظ ما تيسر وتنشغل بمراجعة حفظك للقرآن مع تحصيل العلم الشرعي.

السؤال:

وهذا يقول: إيش تنصح بدراسة المتون؟

الإجابة:

هذه مثل ما نبهت في أثناء الكلمة ماذا أقرأ؟ ما الكتاب الذي أدرسه؟ ما المتن الذي أختاره؟ ارجع إلى الشيخ الذي تريد تدرس عليه وفاتحه في الموضوع وهو يدلك على الكتاب المناسب.

السؤال:

يقول هذا نسي بعض الصلوات ولم يقضها، والآن ناسي الفروض أو ناسي العدد؟

الإجابة:

أولًا عليه أن يتوب إلى الله -جل وعلا- أي العبد إذا نام عن صلاة أو نسيها ثم ذكرها فليصلها واجب عليه فأنت الآن تذكرت كنت نائمًا واستيقظت وقد فاتتك الصلاة فالواجب أن تصلي، انشغلت بأمر ما ونسيت مع هذا الشغل الصلاة ثم انتبهت فالواجب عليك أن تصليها، أما تتذكر ولا تصلي هذا حرام عليك وإثم عظيم.

وإذا نسي الشخص يعني كم عدد الصلوات التي نسيها أو نام عنها أو كذا، فعليه أن يبني على غالب ظنه.

السؤال:

وهذا يسأل كيف يجمع بين الدراسة في الجامعة والدراسة على الشيوخ؟

الإجابة:

يعني يسدد ويقارب، يحرص على دراسته الرسمية النظامية، ويعتني بالمقرَّرات التي فيها، فيها علم كثير، وفيها خير كثير، ويفرغ له يوم من الأيام، أو يومين حسب ما يتيسر للقراءة على بعض المشايخ، لكن الذي يحصل إنه بعض الطلاب يهمل في دراسته الجامعية النظامية، بحجة أنه يريد

الدراسة على المشايخ، ثم تجده أيضًا مقصرًا في دراسته على المشايخ، وبالتالي خرج لا دراسة نظامية ولا دراسة على المشايخ، لم يستفد هنا ولا هنا، فالدراسة النظامية أنت مطالب بها، مكلف بها، وفيها علم كثير، فتحرص عليها، وتستقطع إن تيسر لك شيء من الوقت للدراسة على بعض أهل العلم في البلد الذي تسكنه.

السؤال:

هذا سائل يقول: كنا نسمع عن التفجيرات في المساجد خارج هذه البلاد، ولكن للأسف وصلت إلينا، فما أسباب ذلك؟ وما علاجها؟

الإجابة:

نحن يسوءُنا أن تقع هذه التفجيرات في أي بلد كانت، في بلادنا أو بلاد جيراننا، أو حتى تفجيرات يقوم بها مسلمون في بلاد كافرة بغير حق، فهذا كله يسوء المسلم؛ لأن الله -عز وجل- حرم الظلم والعدوان، لا يجوز أن تظلم مسلمًا، ولا يجوز أن تظلم كافرًا، والنفوس المعصومة حرام العدوان عليها، والأموال التي لها حرمة يحرم العدوان عليها، سواءً كانت هذه النفوس، هذه الأعراض، هذه الأموال لمسلمين أو لغير مسلمين: «يَا عِبَادِ إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا فَلاَ تَظَالَمُوا» وقد ابتلينا في الأيام القريبة الماضية بتفجير آثم، قام به أحد المنتمين لتنظيم داعش، في مسجد، في بيت من بيوت الله -جل وعلا- وفي أثناء صلاة الظهر، الناس يصلون فَجَّرَ

نفسه، قتل نفسه بيده، وقتل من كان حوله من هؤلاء المصلين الركع السجود، فهي جريمة منكرة -والعياذ بالله-، لا يقرها دين، لا يقرها كتاب الله، ولا سنة رسوله -صلى الله عليه وسلم-، وتأباها العقول، وتأباها الفطر السليمة -نعوذ بالله من الخذلان-.

هذا الذي يقوم بهذا العمل هو في زعمه يشتري الجنة، ويقدم مهرًا للحور العين، أنه بعد هذا التفجير مباشرة سيكون في أنهار الجنة، وبين أحضان الحور العين، عنده ثقة ويقين بهذا الأمر -نسأل الله العافية والسلامة-،

يشتري الجنة بتدمير بيت الله!

يشتري الجنة بقتل المصلين!

يشتري الجنة بتقطيع وإهانة المصاحف!

وتلويثها بالدماء -والعياذ بالله-!

فانظر إلى أي مدى يصل الضلال والانحراف بأهله -نعوذ بالله من ذلك-، هذا الشاب الذي فعل ما فعل من هذه الجريمة المنكرة كان له من يلقنه، ويفتيه، ويحرضه، ويشجعه، فهؤلاء شركاء في هذه الجريمة، فمن أفتاه بجواز العمليات الانتحارية هو شريك في هذا الإثم، والله -عز وجل- يقول: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٢٩﴾﴾ النساء: ٢٩، والرسول -صلى الله عليه وسلم- يقول: «مَنْ قَتَلَ نَفْسَهُ بِشَيْءٍ عَذَّبَهُ اللهُ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ» فلا يجوز للمسلم أن يباشر قتل نفسه ولو في جهاد شرعي.

فهؤلاء يعارضون كلام الله وكلام رسوله -صلى الله عليه وسلم-، وفي فتن -والعياذ بالله-.

كذلك أيضًا يجد هذا الشاب من يفتيه بكفر هذه الدولة، بكفر رجال الأمن فيها، بكفر علمائها فبالتالي هم حلال الدم، إذا كانت الدولة كافرة، رجال الأمن كفار، العلماء في هذه البلاد كفار وليسوا كفارًا يعني أصليين بل مرتدين والرسول يقول: «مَنْ بَدَّلَ دِينَهُ فَاقْتُلُوهُ» فهؤلاء كفار مرتدون يجب قتلهم و التقرب إلى الله بدمائهم.

فهكذا يفعلون -والعياذ بالله- يلقنونهم هذه العقيدة الخارجية التي قال الرسول -صلى الله عليه وسلم- عن أصحابها: «الخوارج كِلابُ النَّارِ» وهم الذين يخرجون عن الناس يكفرونهم بغير حق، ويقتلونهم بغير حق، فهذا وجد من يلقنه هذه العقيدة الخارجية؛ عقيدة التكفير، وعقيدة الإفساد في الأرض تحت دعوى ومسمى الجهاد في سبيل الله.

هل التكفير في شريعة الله هكذا فوضى و أعمال عبثية؟

لا، التكفير ليس معناه أنك إذا خالفتني فأنت كافر، التكفير له شروطه في الشريعة، وقد يوجد الكفر في الشخص ولا يكون كافرًا؛ لأن فيه مانعًا من موانع التكفير، فمن الذي أفتاه بأن هذه الدولة دولة كافرة؟!

وأهل العلم أهل الرسوخ في العلم يشهدون بأن هذه الدولة دولة إسلامية بل إنها خير الدول الموجودة اليوم على ظهر الأرض؛ في نصرتها للتوحيد، وقمعها للبدع، وكثرة الخير الذي فيها، وقلة

الشر الذي فيها، وقارن بينها وبين بقية الدول الإسلامية على ما فيها من الخير لكن الخير الذي في هذه البلاد؛ في مجتمعها، في ولاة أمرها، في نظامها، أعظم بكثير مما يوجد عند غيرها.

فلا يقوم اليوم بلد بالشريعة وحماية التوحيد ومحاربة الشرك ورفض مظاهره، ما يقوم به بلد كما هو الحال في بلدنا ولله الحمد والمنة، حتى قال الشيخ ابن باز -رحمه الله تعالى- كلمته المشهورة: **"العِداء لهذه الدولة عِداء للتوحيد"** هذه الدولة من شمالها إلى جنوبها من شرقها إلى غربها هل تجد فيها ضريحًا معلنًا يعبد فيه غير الله -عز وجل-؟ يطاف بهذا الضريح، يتمسح بهذا الضريح، يدعى هذا الضريح؟ ما تجد؛ لأن هذه الدولة جزاها الله خيرًا قائمة على محاربة مظاهر الشرك والوثنية والبدع.

العلماء ما سلموا من تكفير هؤلاء الخوارج -والعياذ بالله-، يكفرون الشيخ ابن باز -رحمه الله-! يكفرون الشيخ ابن عثيمين -رحمه الله-! يكفرون هيئة كبار العلماء بمن فيها! فالتكفير عندهم مفتوح بابه من خالفهم فهو كافر فهو مرتد، وبالتالي المجتمع الذي يسمع ويُطيع لهذه الدولة ويسمع للعلماء إذًا هو كافرٌ مثلها، ورجال الأمن الذين يُدافعون عن الأمن ويحفظون لنا هذا الكيان بعد حفظ الله -جلَّ وعلا- هم عندهم أيضًا كُفَّار، وهم يشهدون أن لا إله إلا الله، وأنَّ محمدًا رسول الله، وهم يُقيمون الصلاة، ويوحِّدون الله، وهم يحمون حُجَّاج بيت الله الحرام، ويقومون على خدمة زوَّار مسجد النبي -صلى الله عليه وسلَّم-، ويُضحُّون بأرواحهم من أجل أن نعيش آمنين مطمئنين في هذا البلد المسلم، يُكفِّرونهم ويستحلِّون دماءهم! ويصدرون المؤلَّفات والفتاوى،

في اغتيال رجال الأمن، في اغتيال رجال المباحث، في اغتيال رجال الاستخبارات، كل من يحفظ أمن هذه البلاد هم تجدهم يُحرِّضون على قتله، وسفك دمه، بل آخر دعواتهم أنَّ كلَّ قريب يقوم على قريبه، إذا كان يعمل في شيء من هذه القطاعات فيقتلُه، يعني أولى الناس ببرِّك، وبصلتك، وبعطفك، وبرحمتك هم يأمرونك بسفك دمه، ﴿وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي ٱلۡأَرۡضِ لِيُفۡسِدَ فِيهَا وَيُهۡلِكَ ٱلۡحَرۡثَ وَٱلنَّسۡلَۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلۡفَسَادَ ٢٠٥﴾ البقرة: ٢٠٥، فهذا عملهم وشغلهم الشَّاغل؛ تكفير المسلمين، واستحلال دماء المسلمين.

ووصل بهم الحال إلى انتهاك حرمات المساجد التي أمر الله أن تُبنى، وأن تُرفع، وأن تُطيَّب وأن تُوقَّر، جعلوها مسرحًا للتفجير والقتل والتدمير-والعياذ بالله-، ومتى؟ في أثناء إقامة الصلاة، ﴿وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذۡكَرَ فِيهَا ٱسۡمُهُۥ وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَآۚ﴾البقرة: ١١٤، هكذا أمر الله -عزَّ وجل- في المساجد أن تُبنى وتعمر، وأن تُطيَّب وأن تُوقَّر، وتوعَّد من صدَّ عنها بهذا الوعيد الشديد، أنه ما في أحد أظلم منه، وهؤلاء الذين يُفجِّرون في المساجد، كأنهم يوصلون رسالة يقولون للناس لا عاد تصلون في المساجد؛ لأنك قد تدخل تمشي على رجليك، لن تخرج منه إلا أشلاء، فإذًا صلِّ في بيتك، هذه الرسالة التي يريدون أن يوصلوها إلى الناس-والعياذ بالله-، أن يُعطِّلوا هذه الشَّعائر العظيمة، وهذا الفكر أيها الإخوة ليس بمستغرب؛ لأن هذا الفكر قديم ليس جديدًا، أول من سنَّهُ في هذه الأُمة الخوارج، ومن رحمة الله -عزَّ وجل- أن رأس الخوارج خرج في زمن النبي -عليه الصلاة

والسلام- فحذَّر النبي من هذه الفرقة، من هذه الطائفة، قبل أن توجد «إِنَّهُ سَيَخْرُجُ مِنْ ضِئْضِئِ هَذَا قَوْمٌ» ثمَّ ذكر صفاتهم، وهم الخوارج.

ولهذا لما خرجوا، ماذا فعلوا؟، جاءوا إلى خير أهل الأرض في زمانه، عثمان بن عفان -رضي الله عنه وأرضاه- خليفة راشد، الرسول -عليه الصلاة والسلام- يشهد له بأنه راشد، من الخلفاء الراشدين، يقول -عليه الصلاة والسلام-: «الْخِلاَفَةُ بَعْدِي» يعني خلافة النبوُّة «ثَلاَثُونَ سَنَةً» وعُثمان فيها، المُبشَّر بالجنة، المُبشَّر بالشَّهادة، الذي تستحي منه الملائكة -رضي الله عنه وأرضاه- فاستحلُّوا دمه، وقتلوه وهو صائم يتلو كتاب الله -جلّ وعلا-.

ثم بعد ذلك الذين قتلوا عليًّا، اجتمع ثلاثة، متى اجتمعوا؟ وأين اجتمعوا؟ في موسم الحجِّ في مكة، في أثناء هذه الشَّعيرة العظيمة، في هذا البلد الحرام في مكة المُكرَّمة، اجتمعوا وخطَّطوا لقتل علي -رضي الله عنه وأرضاه-، وقتل معاوية، وقتل عمرو بن العاص -رضي الله عنهم جميعًا-، ثلاثة من أصحاب رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، علي في العراق، مُعاوية في الشام، وعمرو في مصر، ومتى اتفقوا على تنفيذ المُخطَّط؟ في رمضان القادم، لاحظ الخطة في شهر ذي الحجة، في البلد الحرام، والتنفيذ في شهر رمضان، ومتى؟ في صلاة الفجر، في صلاة الفجر!

فانظر إلى هذا التوقيت، يدلُّك على أنَّه لا حُرمة للدماء، لا حُرمة للإسلام، لا حُرمة للزمن الفاضل، لا حرمة لهذه العبادات والشَّرائع التي شرعها الله -سبحانه وتعالى-، وقتلوا عليًّا وهو خارج لصلاة الفجر، وهكذا حرصوا على قتل معاوية وعمرو، لكن الله نجاهما، فكيف نستغرب

أن يأتي أحفادهم اليوم ويقتلون المصلِّين الرُّكَّع السجود في المساجد؟! فهذا الفكر من أخطر ما يكون من الأفكار.

وفكر الخوارج فكر متجدِّد، جيل بعد جيل، زمان بعد زمان، لا يكاد يخلو زمان إلا ويوجد من يُحييه ويدعو إليه، ولكن بالأساليب الماكرة التي لا يفطِن لها كثيرٌ من الناس.

وممن أحيا سنة الاغتيالات والتفجيرات والعبث بأمن المجتمعات الإسلامية، التنظيمات الإرهابية التي ابتليت بها الأمة الإسلامية، ومن هذه التنظيمات المشهورة تنظيم الإخوان المسلمين، ما قال هذا عنهم أعداؤهم، أو من ينتقدهم، لا، هم سجَّلوا على أنفسهم في تاريخهم، لما كتبوا مذكِّراتهم، وكتبوا هم تاريخهم بأقلامهم هم، سجلوا على أنفسهم كثيرًا من هذه الحوادث، التي صار فيها اغتيال، وصار فيها تفجير، وصار فيها عبث بالأمن، هم سجَّلوا هذا على أنفسهم من باب الشَّهادة لأنفسهم بأنهم كانوا هم السَّباقين في العمليات الجهادية.

فهل هذا من الجهاد؟!،

أن تقتل مسئولًا في دولة مسلمة، ولَّا تفجِّر في مُنشأة في بلدٍ آمن مسلم؟!، في مجتمع أنت تعيش فيه، وتحيا فيه، وتربيت فيه، ودرست فيه، وتوظفت فيه، وتعمل فيه؟!، فلا حُرمة عند هذه التنظيمات لا للبلد، ولا للمسلم، ولا لشعائر الله -عزَّ وجل-، ولا لحرماته.

ثمَّ ما تفرَّع عن هذا التنظيم، وعلى رأسه تنظيم القاعدة الذي أَسَّسهُ أُسامة بن لادن، ولو رجعنا بالذاكرة للوراء، لوجدنا أنه أي تفجير كان يقع في الرياض، في المملكة بعد أيام قليلة وإذا

بهذا الرجل يخرج في تسجيل مُصوَّر صوت وصورة وهو يترحَّم على أولئك الذين فجَّروا، ويُثني على عملهم هذا ويُزكِّيه، ويدعو إلى بذل المزيد.

ثم خلف هذا التنظيم تنظيم القاعدة خلفه تنظيم داعش اليوم، وجبهة النُّصرة في الشام، فإنها تتبنى تنظيم القاعدة وتنتمي إليه، وهي تنظيمات تقوم على تكفير المسلمين بغير حق، وعلى استحلال دمائهم بغير حق.

فلنحرص على أبنائنا، وعلى بناتنا، وعلى أنفسنا أيضًا، لسنا معصومين من الخطإ، ومن الانحراف، فلا نقرأ ولا نسمع ولا نُصغي لمن يُزكِّي هذه الجماعات، أو يُدافع عنها، فإنهم يُزكُّون تنظيمات غالية خارجيَّة، ليس لها هَم إلا تدمير المجتمعات الإسلامية، بحجة الحرص على إقامة الخلافة الإسلامية.

كذلك نحرص على ألا نغتر بالدعاة الذين يدعوننا إلى الثَّورات، ويدعوننا إلى أن تكون العلاقة بيننا وبين ولاة أمورنا علاقة كره، وبغضاء، وحقد، وعداوة، ماذا استفاد المسلمون من هذه الدعوات؟ حرَّضوهم على الفتن، على الثّورات، على طلب الحُريَّات، على طلب الديموقراطيَّة، وعلى، وعلى، واغترَّ كثير من جماهير المسلمين بهم، تدمَّرت البُلدان التي كانت آمنة وعامرة، فيها شيء من الفقر، شيء من الظلم، شيء من النقص، لكن اليوم يتمنوا ذاك النَّقص، وذاك الظُّلم، وذاك الحال لكن أهم شيء أنها ترجع، يرجع الأمن، فلنا فيما جرى في تلك البلاد عبرة، وعظة، لا نغتر بهؤلاء الدُّعاة، لبسوا بشوت، كانوا على سيماهم الخير، هذا كلُّه ما ينفع، المهم هو أن ينطق

الشخص، ينطق طالب العلم، ينطق الدَّاعي، بما يوافق كتاب الله، وسنة رسوله -صلى الله وعليه وسلم-، وبما يوافق عقيدة السَّلف الصَّالح، هذه الدعوة الطيَّبة المباركة.

أما يأتينا شخص يتزيَّا بزيّ العلم، ثم يدلُّنا ويدعونا إلى نار الدنيا، وإلى نار الآخرة، وإلى الفتن والفوضى والخراب، ويريدنا نقبل منه؛ لأنه فقط يتزيَّا بزيِّ أهل العلم، لا، لا ينبغي الاغترار بمثل هذه الدعوات فالشّرع ينهانا، والتّجارب الماضية والمعاصرة أيضًا تنهانا عن مثل هذا.

نسأل الله – عزَّ وجل- أن يُصلح أحوال المسلمين في كلِّ مكان.

نسأل الله أن يُصلح أحوالهم في ليبيا، وفي اليمن، وفي سوريا، وفي العراق، وفي أفغانستان.

نسأل الله أن يحقِن دماءهم، وأن يبسط الأمن في بلادهم، وأن يكفيهم شرَّ هذه الفتن، إنهُ سميعٌ مجيب.

كما نسألهُ -سبحانهُ وتعالى- أن يُديم على هذه البلاد، وسائر بلاد المسلمين أمنها واستقرارها، واجتماع كلمتها، وأن يُعيذنا وإياكم من مُضلَّات الفتن.

وهذا والله أعلم، وصلى الله وسلَّم وبارك على عبده ورسوله محمد.

وللاستماع إلى الدروس المباشرة والمسجلة والمزيد من الصوتيات يُرجى زيارة موقع ميراث الأنبياء على الرابط

www.miraath.net

وجزاكم الله خيرا.